قول لبعض الناس

في المآتم والاعراس

ما انتهيت من الرسالة حتى طرق الباب طارق تحت جنح هذا الليل الغاسق فقلت من قال صاحب موءتمن فعرفت من صوته اخاً كريما وصديقاً حميما ففتح الخادم له بابا والصداقة ابوابا وسأل عني فاحراه الاخلاص سبعين جوابا فاستأذن ثم دخل غير هياب ولا وكل وقال اي صديقي وصاحبي ورفيقي لا للمطالعة كعادتنا جئت ولا للمطارحة كدأبنا قدمت ولا لننثر مقامات ولا لننظم ابيات ولا لننظر في فضل السابق على اللاحق ولا لنحكم على الكاذب منهم للصادق ولا لنثبت لشاعر في ديوان الادب ما نمحوه عن غيره بسند او بسبب ولا لنتكلم في رزايا الوطن واهله ولا في بلية الاسلام وذله ولا لنسجل على ساداتنا المسلمين واخواننا في الوطنية والدين اهمالهم لاهم الواجبات واغفالهم اعظم الضروريات ولا لنصرخ باستفحال الداء واستنهاض الهمم للمبادرة بالدواء فكل من ذلكم يا صاح له وقت واجل وليس من الحكمة قبل المعدات ان نبدأ بالعمل انما قدمت في مثل هذه الساعة من الليلة الليلاء لعظم في الامر وجلل في الحادث وشدة في البلاء وذلك ان ثالثنا في الاخوة واولنا في المروءة والفتوة وامامنا في المشكلات وذخرنا في

المعضلات صديقنا فلان دعاه ربه فاجاب ومات اليوم ولكل اجل كتاب
وانت تعلم ان ثوب مظهره كان مطوياً على شده وان حجاب باطنه كان
مستوراً على حاجات عده وانه كان في السر غير الذي كان يهب في الجهر
وان اكثر ما كان يعطي لابناء جنسه انما كان من باب ايثارهم على نفسه
وتعلم ان له ثلاث بنات سن الكبرى فيهن سبع سنوات وامرأة فقدت
منه ظهراً ونصيرا وخسرت بافول شمس حياته قمراً منيرا ولكن ما هذه
الخسارة منها باكثر من ربح الميت في البعد عنها فقد قيل انها هي التي
ضاعفت مصيبته وعجلت بجهلها موتته اذ عارضت في استدعاء الطبيب
ونبذت قول كل خليل ورأي كل مصيب تقول ان الطب عار وان
الطبيب في النار وانه لا يؤخر ساعة ولا يستقدمها ولا يبني لبنة
في دار الحياة ولا يهدمها وانه لا يضر ولا ينفع ولا يصل ولا يقطع
وقد جهلت انها بذلك تعاند الحكيم في قدرته وتحول بين الداء والدواء
الشافي بحكمته اذ تريد ان يتغير ناموس الكون لاجلها وان تتبدل سنة
الله في الخلق لجهلها فهي تطلب الشفاء من غير طريقه المسلوك ولو بمخالفة
الواجب ونبذ آداب السلوك لا رابطة عندها بين العلل والمعلولات ولا
حكم لديها بين الاسباب والمسببات ولقد رأيت كيف كان صاحبنا عند
ذكر النساء تسيل عيناه حتى لتكاد ترسل الدماء اسفاً على جهلهن وحسرة
على احوالهن ولكن ما لذلك ايضاً طرقت بابك ولا للخوض في عيوب
نسائنا قصدت رحابك بل لتمد يدك التي انا عالم بيمنها ويسرها وواثق
بخيرها وبرها لتواري سوءة اخيك وتشيعه في مماتك بما يحييك فقم
يارجل المروه ويا سيد ذوي الفتوه واهجر لاجل هذه المهمة مضجعك

واعمل لما يحقق في الخير مطمعك قم فالخطب خطير والوقت قصير وجثة اخيك في انتظار اكرامها بدفنها وروحه تريد وداعنا اما بزينها او بشينها فاجبت محوقلا وقلت متمثلا

يا راقد الليل مسروراً باوله ان الحوادث قد يطرقن اسحارا
لا تفرحن بليل طاب اوله فرب اخر ليل اجج النارا

وانا وحقك من اول الليل في كرب وشقاق وعناء وحرب وليلتي هذه لم تتمخض الا هموما ولم تلد الا كروباً وغموما ومما زاد نفسي حزناً وانقباضا وابدل سروري كدراً واعراضا قصف المنية هذا الغصن القويم وخطف المنون حياة ذاك الفتى الكريم ولكن القول في هذه الحال ما يقول المؤمنون انا لله وانا اليه راجعون وها انا الان بين يديك والامر اليك كل ما لديّ من بعض برّك . لم يخرج عن ملكك وامرك فانفق في هذا السبيل كيفما شئت واجز روح صاحبنا من المبرات كيفما اردت وهذه يدي في يدك اضعها وقدمي اثر قدمك تتبعها وهذا فراشي جانباً ولو اماتني السهر وراحتي ناحية ولو قضى عليّ الضجر فهلم ايها الوفي لتأدية الواجب نحو مقام هذا الصاحب

محمد محمد
بالاوقاف